مخترعات السيوطي
في البديع في ضوء كتابه
[شرح عقود الجمان]
(عرض ومناقشة)

إعداد

أ.د/ عـــاطـــف الأكـــرت

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة

٢٠١٩م

ملخص البحث

يعد السيوطي أحد أهم رجالات التراث العربي والإسلامي بما خلَّفه من تراث ضخم متنوع بين علوم عدة ، وقد نال علم البلاغة منه عموما وعلم البديع خصوصا اهتماما خاصا ، وعلى الرغم من تأخره زمنيا فقد توفي سنة ٩١١هـ لكنه أسهم في مجال البديع بعدة مخترعات أضافها على ما تقدمه من فنون البديع.

وهذا البحث يتناول تلك المخترعات بالمناقشة والتحليل ويقرر ما له من جهد في هذا المجال ، وهذه المخترعات ستة هي :

١- التأسيس والتفريع

٢- نفي الموضوع

٣- تمهيد الدليل

٤- التصحيف

٥- التضييق

٦- المنتحل

Abstract

Alsuyuti is one of the distinguished scholars of the Islamic nation where he had huge knowledge and several books. He contributed with important books in rhetoric science as "explaining of gardens in rhetoric science and language". Although he dead on 911 H., he contributed with many works in addition to create new forms called it "inventions" include the following six forms:

1- Establishment and evacuation

2- Subject negation.

3- Introducing the evidence.

4- Correction.

5- Narrowing.

6- Plagiarized.

This study explains, discusses and analyzes these forms in addition to show role of Al-Suyuti in relation to it and the sources he depended on to create it. Also the researcher explained the other rhetoric styles similar to it.

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد،

فمنذ ألَّف الشاعر عبد الله بن المعتز (ت٢٩٦هـ) كتابه في البديع، وفتح باب الزيادة على المحسنات التي أوردها فيه، والعلماء يتسابقون في مجال الزيادة والاختراع.

والحافظ السيوطي –رحمه الله– رغم تأخُّره الزمني كان من جملة هؤلاء العلماء الذين أسهموا بالزيادة في البديع؛ فقد نصَّ في كتابه "شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان" على عدة مخترعات تأتي ضمن التسابق في الزيادة فأردت أن تكون هذه المخترعات محل البحث ، ويبدو أن السيوطي أراد في العنوان أن يحافظ على السجع فذكر علمي المعاني والبيان ولم يذكر البديع ، ويؤيده في ذلك إطلاق مصطلح البيان على علمي البيان والبديع عند بعض العلماء .

واخترت في العنوان كلمة (مخترعات) لأنها التي استعملها السيوطي للدلالة على ابتكاراته في علم البديع ، فقد سار في كتابه على منهج التلخيص للخطيب القزويني، وما جاء عند غيره من العلماء ولم يذكره الخطيب كان يطلق عليه (زياداتي) وما ابتكره هو ولم يرد عند الخطيب ولا عند غيره سماه (المخترع).

وقد بدأ البحث بذكر الجهود البلاغية للسيوطي، والنصيب الذي أخذه علم البلاغة من مؤلفاته، كما ذكر اهتمامه بالبديع خاصة وآراءه الطريفة فيه.

ثم وقف البحث مع هذه المخترعات بالعرض والمناقشة والتحليل بغية الوصول للقول الفصل فيها، وهل تسلم له حقًّا أو أنها تشتبه مع غيرها من

أصباغ البديع الأخرى، فقام بعرض اللون المخترع وتحليل المصطلح، وعرض أمثلته، وذكر مصادره، وهل ثمَّ جديد فيه أو لا؟

والله الموفق وهو الهادي إلي سواء السبيل.

نبذة عن السيوطي(*)

هو عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين السيوطي الشافعي ويعرف بابن الأسيوطي ، ولد في مستهل رجب سنة ٨٤٩ هـ من أم تركية وأب مصري ، ونشأ يتيمًا ، ولما ترعرع حفظ القرآن الكريم والعمدة والمنهاج والخلاصة ، وبدأ يطلب العلم سنة ٨٦٤ هـ فتلقى عن شيوخ عصره ، فأخذ النحو عن إمام الشيخونية محمد بن موسى الحنفي والفقه عن عثمان القسي والبلقيني والمناوي والشمني والكافيجي ، وبرع في التأليف والتصنيف وكان مضرب المثل في كثرة المؤلفات التي أوصلها بعض العلماء إلى خمسمئة مؤلف في كثير من العلوم ، من هذه المؤلفات :

في التفسير وعلوم القرآن :

الإتقان في علوم القرآن ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، لباب النقول في أسباب النزول ، مفحمات الأقران في مبهمات القرآن ، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ، حاشية على تفسير البيضاوي.

(*) السيوطي أشهر من أن يُعرَّف، ويُنظر في ترجمته:

الضوء اللامع للسخاوي، ٦٥/٤- ٧٠، نشر مكتبة القدسي، القاهرة، وتاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ص ١٧١ ، أحمد مصطفى المراغي ، ط الحلبي، وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي، ٣٣٣/١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الحلبي، ١٩٦٧م، والتحدث بنعمة الله، للسيوطي، تحقيق: إليزابيث ماري سارتين، ط الذخائر، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، ٥١/٨- ٥٥، نشر مكتبة القدسي، القاهرة، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للإمام الشوكاني، ٣٢٨/١- ٣٣٥، ط السعادة، ١٣٤٨هـ.

في الحديث ومتعلقاته :

كشف المغطَّى في شرح الموطَّأ ، التوشيح على الجامع الصحيح ، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، عين الإصابة في معرفة الصحابة ، مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ،شرح ألفية العراقي وتسمى (نظم الدرر في علم الأثر) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، مناهج الصفا في تخريج أحاديث الشفا .

في الفقه ومتعلقاته :

الأزهار الفضة في حواشي الروضة ، الأشباه والنظائر ، جمع الجوامع ، تشنيف الأسماع بمسائل الإجماع ، وغيرها .

النحو ومتعلقاته :

شرح الخلاصة الفريدة في النحو والتصريف والخط ، الفتح القريب على مغني اللبيب ، جمع الجوامع مع شرحه المسنى بهمع الهوامع ، الأخبار المروية في سبب وضع العربية ، التوشيح على التوضيح ، شذا العرف في إثبات المعنى للحرف ، السيف الصقيل في حواشي ابن عقيل ، وغيرها .

في التاريخ والأدب :

تاريخ الصحابة ، طبقات الحفاظ ، بغية الوعاة في طبقات النحاة، طبقات الكتاب ، طبقات المفسرين ، تاريخ الخلفاء ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ديوان شعر، ديوان خطب ، شرح بانت سعاد ، الشماريخ في علم التاريخ، أحاسن الاقتياس في محاسن الاقتباس، وغيرها .

توفي . رحمه الله . سنة ٩١١ هـ.

البلاغة عند السيوطي :

حظيت البلاغة باهتمام السيوطي إذْ برع في علومها، ونبغَ في فنونها يقول –مُتحدِّثًا بنعمه– الله عليه في التبحُّر في جملة علوم–: "قد رُزِقتُ، ولله الحمد، التبحُّر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان والبديع على طريقة العرب البُلغاء لا على طريقة المتأخرين من العجم، وأهل الفلسفة"(١).

والعلوم الثلاثة الأخيرة هي علوم البلاغة العربية، ويُشيد بإتقانها خاصةً على طريقة العرب البلغاء، يقصد بها الطريقة الأدبية في تحليل الأساليب لا التي يغلب عليها الطابع الفلسفي على غرار ما فعل السجلماسي مثلا في كتابه (المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع) ،ونالت هذه العلوم الثلاثة من السيوطي بعض النشاط العلمي، فكتب فيها عدة مؤلفات هي:(٢)

١- نُكَت على التخليص.

٢- التخصيص في شرح شواهد التلخيص.

وقد ورد عند المراغي باسم (شرح أبيات تلخيص المفتاح) والصواب ما ذكره صاحب الكتاب نفسه في سرد مؤلفاته.

٣- البديعية، وتسمّى: نظم البديع في مدح الشفيع.

وذكرها المراغي باسم (نظم البديع في مدح خير شفيع) .

وهي على غرار القصائد البديعية الأخرى التي توضع في فنون البديع، وقد ورَّى السيوطي فيها باسم النوع، وأولها:

---

(١) السيوطي: جلال الدين، كتاب التحدُّث بنعمة الله، ص٢٠٣، تحقيق: اليزابيث ماري سارتين، ط الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٣م.

(٢) انظر فيها: المصدر السابق صفحات ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١١٧، ١٢٠، ١٣٤.

مِنَ العقيقِ ومِنْ تذْكارِ ذي سَلَمِ ... براعةُ العينِ في استِهلالِهَا بدَمِ

٤- شرح البديعية.

٥- الألفية في المعاني والبيان، تُسمَّى "عقودَ الجُمان"، وهي من النظم التعليمي الذي ينظم القواعد العلمية في قوالب موزونة. وهي غير الألفية في مصطلح الحديث ، والألفية في القراءات العشر ، والألفية في النحو والصرف .

٦- شرح الألفية، مطبوع باسم: شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان.

٧- مجاز الفرسان إلى "مجاز القرآن".

وهو مختصر "مجاز القرآن" للشيخ عز الدين بن عبد السلام (لم يُتمه).

٨- المُنى في الكُنى.

موضوع في الكناية العربية.

٩- فتح الجليل للعبد الذليل في قوله تعالى: "الله ولي الذين آمنوا.." [الآية].

قال: استنبطت منها مئةً وعشرين نوعًا من أنواع البديع.

وتبدو الشخصية البلاغية الفاعلة في مؤلفات شارك بها في إطار مدرسة المتأخرين التي دارت في فلك الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ)، واعتمدت على كتابه "تلخيص المفتاح" منهجًا للبلاغة العربية، وفلسفة لتقسيم علومها، فجاءت كتبه تدور حول "التلخيص" من حيث التعليق عليه، أو شرح شواهده، وفي كتابه "شرح عقود الجمان" كان كثيرًا ما يوازن بينه وبين التلخيص ليذكر زياداته عليه.

هذه المؤلفات خالصة لعلوم البلاغة إلى جانب بعض الكتب التي تضمنت مباحث بلاغية مثل الإتقان في علوم القرآن ومعترك الأقران في إعجاز القرآن .

وفي حديثه عن العلوم التي يجيدها السيوطي يجعل العلوم الثلاثة من جملة سبعة علوم يُجيدُها لدرجة التبحُّر –كما سبق في النص المنقول– وهذه أعلى مراتب الجودة عنده، لأنَّ المرتبة التي تليها لأصول الفقه، والجدل، والصرف، ثم المرتبة الثالثة للفرائض والإنشاء والترسُّل، ثم معرفة القراءات، وأعْسر شيء عليه علم الحساب(١).

وربَّما في السياق التاريخي للسيوطي ما يجعل مشاركته بهذه المؤلفات من مراحل التأليف البلاغي التي ينبغي التوقُّف عندها، وربما يكون نظمُه القواعد في ألفيَّة تعليمية دلالة منه على تمكنُّه في هذا الفن.

نقول:إنه مرحلة في تاريخ البلاغة أو حلقة في سلسلتها لا ينبغي إهمال تراثه لدى من يؤرِّخ لها، فلم نجد له ذكرًا عند الدكتور شوقي ضيف – رحمه الله– في كتاب "البلاغة: تطوُّر وتاريخ" سوى بديعيته، وكانت لمحة سريعة من الدكتور حفني محمد شرف لا تتعدى سطرين في كتابه: "الصور البديعية بن النظرية والتطبيق"(٢). وتحدَّث عنه بشيء من التفصيل بذكر كتبه المرحوم: أحمد مصطفى المراغي(٣).

---

(١) السابق، ص٢٠٣ وما بعدها.

(٢) الصور البديعية بين النظرية والتطبيق، ج١، ص٣٥٣، حفني محمد شرف، ط١ مكتبة الشباب، ١٣٨٥هـ– ١٩٦٦م.

(٣) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، ص١٧١ وما بعدها، ط١ الحلبي، ١٣٦٩هـ– ١٩٥٠م.

السيوطي والبديع:

ولئن كانت علوم البلاغة مما برع فيه السيوطي من جملة العلوم، وتبحَّر فيها، فلقد كان البديع بالأخص يستحوذ على اهتمام أبلغ، يبدو ذلك من مشاركته أصحاب البديعيات بقصيدة على غرارها، ويلتزم فيها أن يورِّي بالمصطلح البديعي إظهاراً للمقدرة الفنية –كما فعل مثلاً– ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ)، وهو الذي عارض السيوطي بديعيَّته.

كما كان الوقوف على حصر الفنون البديعية –مهما تعدَّدت– سمة يمتاز بها من ألَّف في البديع، وإن اقتضاهم ذلك الوقوف على جملة ما ألَّف في هذا الفنِّ منذ بدأ التأليف فيه، وقد ذكر في مقدمة علم البديع في شرح العقود، أنه وقف على كتب تبلغ بالبديع أكثر من مئتي نوع(١).

وهذا الاستقصاء والحصر واجبان قبل التفكير في الاختراع أو الزيادة عليها، وأما الرغبة في الزيادة فكان باعثها لدى العلماء كلمة ابن المعتر (ت ٢٩٦هـ) –صاحب أول كتاب في البديع–: "وما جَمَعَ فنونَ البديع، ولا سبقني إليه أحد، وألفتُه سنة أربع وسبعين ومئتين... فمن أحبَّ أن يقتدي بنا، ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى البديع، ولم يأت غير رأينا فله اختياره"(٢).

وقد نظر السيوطي في هذا التراث الوفير من البديع، وتَتبَّع النتاج العلمي فيه، ويُطالعنا في كتابه "شرح عقود الجمان" برجل على إلمام بعلم

---

(١) شرح عقود الجمان، ص١٠٥، ط الحلبي، ١٣٥٨هـ– ١٩٣٩م.

(٢) كتاب البديع، ص٥٨، تحقيق: اغناطيوس كراتشكوفسكي، ط٣ دار المسيرة، بيروت، ١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م.

البديع، وتاريخه، والوقوف على أنواعه التي لم يقصد أحدٌ إلى حَصْرها ما دام الباب مفتوحًا للزيادة منذ ابن المعتز.

وإذا كان ابن المعتز قد فتح الباب للزيادة، فإنه من جانب آخر طَبَع البحث في البديع بشخصيته من حيث جَمْع الشواهد العلمية، وكذا نسبة المصطلح إلى صاحبه، وهذا المنهج كان قائمًا لدى من تَصدَّى للتأليف في البديع، وقام به السيوطي أيضًا، فكان يُنبِّه على مُخْترِع الصِّبْغ البديعي، أو بعبارة أدق، صاحب المصطلح العلمي(١).

ومن الآراء الطريفة للسيوطي في البديع استحسانه الإكثار منه مخالفًا جمهرة البلاغيين والنقاد في ذمِّ التكَلُّف والتعلُّق بالبديع، جاء ذلك في سياق ردِّه على أبي جعفر الأندلسي (ت٧٧٩ هـ) –الذي يمثِّل معظم البلاغيين– حين قال: "أنواع البديع في الكلام كالمِلح في الطعام، وكالخال في الوجْنَات، إذا كثُر قبُح، وخرج عن باب الاستحسان، فكذلك البديع إذا كثُر وتُكُلِّف مجَّتْه الطباع، وإنما يحسُن إذا وقع الكلام سهلاً مستعذبًا عاريًا عن التكلُّف، فإذا أفْرط في الزيادة خاطبته الطِّباعُ.

لو اختصَرتُم من الإحْسان زُرْتُكُمُ ... والعذْبُ يُهجَر للإفراط في الخَصَرِ

وللرَّد على هذا الرأي عَمَد السيوطي إلى التفصيل في ألوان البديع فقال: "قلتُ: لم أر ذلك للمتقدِّمين إلا في مثل الجناس والسجْع ونحوهما، أما مثل التورية والاستخدام، واللف والنشر ونحوها فحاشا وكلَّا".

فهو يرى أن القول بذمِّ البديع الكثير لا يصحُ على إطلاقه، وإنما يحتاج إلى التفصيل، فما تعلَّق منه باللفظ مثل الجناس والسجع ونحوهما مذموم، كما كان عند المتقدِّمين، وما تعلَّق منه بالمعنى مثل التورية

(١) شرح عقود الجمان، صفحات: ١٢٣، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٤.

والاستخدام ونحوهما فهي أساليب محمودة مهما كثرت[١]، ولابد أن يكون هذا رأي السيوطي في سياق تطور الأساليب البديعية والاعتماد عليها في الكتابة كما شاع في عصره، وقد كانت التورية –مثلاً– مقياسًا للقدرة الفنية شعرًا وتأليفًا، ومن نماذجها البديعيات التي تستخدم التورية في المصطلح البديعي، ومنها بديعية السيوطي نفسه.

ويدعم رأيه بالاعتماد على أسلوب بديعي آخر هو الإبداع، الذي "فسَّروه بأن تكثر أنواعُ البديع في البيت"[٢].

ويختتم هذا الاعتراض والرد بقوله: "نعم التكلُّفُ مذموم كيف كان"[٣].

وفي مجال الشواهد كان الحديث النبوي حاضرًا بقوَّة في دراسة البديع عند السيوطي وهو شيء بدهي فالرجل تبحَّر أيضًا في علم الحديث، ولُقِّب بـ"الحافظ" وهو الذي يحفظ مئة ألف حديث، وأسْعَفَه هذا الحفظ بإيراد الشواهد الحديثية على كل أنواع البديع، وقال في المقدِّمة: "وقد التزمتُ أن آتي في كل نوع بمثال فأكثر من الحديث النبوي تمرينًا وتشريفًا وتيمُّنًا به"[٤].

كما كان الحديث المصدر الرئيس في مخترعاته التي نعرضها بعد.

---

(١) يذكر السيوطي في موضع آخر أن "التورية والاستخدام أشرف أنواع البديع"، الإتقان في علوم القرآن، ج٢، ص١٠٨، ط دار عالم المعرفة ، بيروت.

(٢) راجع في "الإبداع" مصطلحًا: تحرير التحبير، ص٦١١، ابن أبي الأصبع، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: خزانة الأدب وغاية الأرب، ص٤٥٢، وابن حجة الحموي، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، ٢٠١٤م، والإتقان، ١٢٣/٢.

(٣) السابق، ص١٠٥.

(٤) السابق والصفحة.

وتأتي هذه المخترعات ضمن محاولات السيوطي في التميُّز والتدليل على تعمُّقه في فن البديع، واستمرارًا لمنهج المتأخرين في معالجة فنون البديع القائم على التشقيق والتفريع، والتسابق في الزيادة العدديَّة للمحسِّنات، فالرجل وقف على كل ما أُلِّفَ في هذا الفن، وحَكم على بعضها بالجودة –كما أشاد بابن أبي الإصبع المصري (٦٥٤ هـ) وعدَّ دراسته عنه من قبيل الإبداع– كما يعرض هذه الأساليب على محفوظه من القرآن الكريم فيستخرج منه، كما يستخرج من الحديث الشريف، في منهج تكاملي للعلوم.

لذا لم يشأ أن يترك البديع دون إضافة بصمته وشخصيته، ما دام قد وصل فيه إلى هذا العمق من الدراسة الرأسية والأفقية لتراث البديع، وما دام يستثمر علومًا أُخر، ويوظِّفُها في سبيل البحث.

ذكر السيوطي هذه المخترعات الستة متتابعة أربعة منها في آخر حديثه عن المحسِّنات المعنوية واثنين منها في المحسِّنات اللفظية في كتابه "شرح عقود الجُمان"، بعدما سرد أنواع البديع المعنوي التي سبقته جميعًا سواء ما ذكره الخطيب القزويني –رأس المدرسة– أو ما ذكره غيره من العلماء، وهو ما كان ينبِّه على أنه "من زياداته" قاصدًا الزيادة على تلخيص الخطيب، أما الأنواع الستة فكان يُصرِّح باختراعها ثم يأخذ في سرد الشواهد عليها.

وسوف يتوقف البحثُ مع هذه الأنواع الستة بالتفصيل والتحليل ليرى:

هل تسلم للسيوطي اختراعاته أو سُبق بها؟ وما مصادره في هذا الاختراع؟

لقد اخترع ابن أبي الأصبع المصري ثلاثين نوعًا للبديع، قال السُبكي: "سلم له منها عشرون، وباقيها متداخل أو مسبوق به"(١).

ويذكر المحدثون "أن جديدَه سَلِم له منه أربعة عشر لونًا، وسُبق إلى ستة عشر لونًا"(٢).

فماذا عن مخترعات السيوطي؟

الأول: **التأسيس والتفريع**:

قال السيوطي في النظم :

وقَدْ وجَدتُ مقْصِدًا بديعَا ... سميتُه التأسيسَ والتفريعَا

قاعدةً كليَّةً يمهِّدُها ... يَبْني عليهَا شعبةً يقصدُها

مثالُهُ: لكلِّ دينٍ خُلُقُ ... وخُلْقُ ذا الدِّين الحياءُ المونَقُ

وقال في الشرح: "هذا نوع لطيف اخترعتُه لكثرة استعماله في الحديث النبوي، ولم أرَ في الأنواع المتقدِّمة ما يناسبه، فسمّيتُه بالتأسيس والتفريع، وذلك أن يمهِّد قاعدةً كلية لما يقصده ثم يرتِّب عليها المقصود ، كقوله – صلى الله عليه وسلم–: "لكل دين خُلُق، وخلق هذا الدين الحياء"(٣).

ثم يتابع سرْد مجموعة من الأحاديث على هذا النسق تبلغ عدتها ثمانية وعشرين حديثًا مُخرَّجَةً من كتب الحديث، ويختم الباب بقوله: "وفي

---

(١) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ج٤، ص٤٦٨، ضمن شروح التلخيص، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) د/ حفني محمد شرف، مقدمة دراسته لكتاب تحرير التحبير، ص٥٦.

(٣) شرح عقود الجمان، ص١٤٠.

الأحاديث من ذلك شيءٌ كثير، وإنما أطلْتُ هنا بهذه الأمثلة تقريرًا للنوع الذي اخترعتُه"[١].

يبدو الحديث النبوي هو المصدر الرئيس للسيوطي في الاهتداء إلى هذا الأسلوب من خلال الأمثلة الكثيرة التي أوردها، والتي تُعدُّ –في رأيه– سمةً أسلوبية للنبي . صلى الله عليه وسلم . حيث قال: "وقد استعمل –صلى الله عليه وسلم– مثل هذا في تقريراته كثيرًا"[٢].

تقوم بنيةُ هذا الأسلوب على جملتين تؤَسِّس الأولى لمعنى كُلِّي، وتفرِّع الثانية منها معنى جزئيًّا على النحو التالي:

١– (التأسيس) الجملة الأولى تتكوّن من (كلمة عامة/ كل و مسند إليه مؤخر نكرة).

٢– (التفريع) الجملة الثانية معطوفة على الأولى بالواو ومكوَّنة من (مسند إليه مُعَرَّفًا بالإضافة لتخصيص النكرة في الجملة الأولى و مسند معرفة).

كما في الأمثلة: **لكل أمة أمين، وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة بن الجرَّاح**

لكل شيء قلب، وقلبُ القرآن يس

لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال

لكل شيء زكاة، وزكاة الجسد الصيام

والمصطلح السيوطي جاء في بنية العطف فهو يتكون من مفردين معطوفين (التأسيس والتفريع) فلا يتم معنى المصطلح إلا بهما جميعًا، حيث لا يُنظر إلى التأسيس وحده، ولا إلى التفريع وحده، إذْ إن التأسيس عند ابن

---

(١) السابق، ص١٤١.

(٢) السابق والصفحة.

أبـي الإصـبع –مـثلاً– هو "ابتداء الشـاعر ببيتٍ غيره والبنـاء عليـه"[١]، ولـذا ذكره في باب "الاستعانة".

كمـا أن التفريـع عنـد البلاغيـين لا يتشـابه مـع التفريـع هنـا[٢]، فالمصـطلح علـى نسـق المفـردين المعطـوف بينهمـا نحـو "اللـف والنشـر"، و"الجمع والتقسيم" و"السلب والإيجاب"... وهكذا.

وهـذا الأسـلوب مـن مظـاهر الحجـاج فـي البلاغـة العربيـة، ومـن الأساليب القائمـة علـى الإقنـاع والتـأثير فـي المخاطـب مـن حيـث قيـام بنيتـه على المنطق، وأشار السيوطي إلى استعماله في "التقريرات" كما كان تعريفه إياه مفادًا من علم المنطق فـ"القاعدة الكلية" التـي جاءت فـي النظم والشرح هي القضية الكلية "وهي المُسَوَّرة بالسور الكُلِّي كقولك" كل إنسان حيوان"[٣].

هذا وأثر المنطق على البلاغة العربية عمومًا وعلى البديع خاصة معلوم لدى الدَّارسين؛ فقد جعل ابن المعتز من أصول البديع التي جمعها "المـذهب الكلامـي"، ونسـبه إلـى الجـاحظ[٤]، وأخـذ هـذا الأسـلوب مكانـه فـي البحث البلاغي بهذه النسبة.

---

(١) تحرير التحبير، ص٣٨٥.

(٢) يراجع التفريع في: العمدة في صناعة الشعر ونقده، ج٢، ص٦٣٦، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: د/ النبوي شعلان، ط مكتبة الخانجي، ٢٠٠٠م، والبغدادي، قانون البلاغة، ص٤٥٥ مع رسائل البلغاء لمحمد كرد علي، ط٤، ١٣٧٤هـ– ١٩٥٤م، وتحرير التحبير، ص٣٧٢، وابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ص٥٠٥، والقزويني، الإيضاح، ٥٧/٤ مع بغية الإيضاح، ط مكتبة الآداب.

(٣) حاشية الباجوري على السلم في علم المنطق، ص٦٩، إبراهيم البيجوري، ط مكتبة صبيح، ١٣٥٨هـ– ١٩٦٦م.

(٤) كتاب البديع، ص٥٣.

كما أن الصلة بين البلاغة والمنطق لا تخْفى إذا ما نُظر إليها من جهة الإقناع، والوصول بالمعنى إلى قلب السامع، وهي مهمَّة تقوم بها البلاغة العربيَّة خير قيام، وتتعدَّد الوسائل في خدمة هذه المهمة.

والمصطلح السيوطي تشقيق للمذهب الكلامي وتفريع عنه، فقد عَرَّفوه بقولهم: "هو إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام"(١).

والمقصود بطريقة أهل الكلام "أن يؤتى به على صورة قياس استثنائي أو اقتراني يكون بعد تسليم مقدماته مستلزمًا للمطلوب"(٢).

والتشابه ظاهر بين هذا الأسلوب ومصطلح السيوطي؛ فإنه عرض لقضية كلية مُسَلَّم بها (هو التأسيس)، وتخصيص قضية جزئية منها (هو التفريع).

وربما يكون الجديد لدى السيوطي في هذا النوع هو رصد خاصية أسلوبية للنبي –صلى الله عليه وسلم– في عرض بعض القضايا عن طريق التأسيس والتفريع، وهذا واضح في الأمثلة الكثيرة التي بلغت ثمانية وعشرين، وجاءت جميعًا من الحديث الشريف.

الثاني: **نفي الموضوع**:

قال في النظم:

والنَّفْيَ للموضوعِ قصْدًا صنَعَهْ ... مثالُهُ: ليسَ الشديدُ الصُّرَعَهْ

---

(١) سعد الدين التفتازاني، المختصر على تلخيص المفتاح، ضمن كتاب شروح التلخيص، ج٤، ص٣٦٩.

(٢) عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص، ٣٦٩/٤، وانظر معه حاشية الدسوقي على المختصر.

وفي الشرح قال: "هذا النوع أيضًا من مخترعاتي، وسميَّتُه: نفي الموضوع، وهو كثير في الحديث وكلام البلغاء بأن يكون اللفظ موضوعًا لمعنى فَيُصَرِّح بنفْيه عنه، ويثبته لغيره، مبالغةً في ادِّعاء ذلك الحُكم.

ومثاله: ما رواه الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "ليس الشديدُ بالصُّرَعَة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"(١).

وأورد ثمانية أحاديث أخرى بعد ذلك، وبيتًا واحدًا من الشعر هو:(٢)

ليس من مات فاستراح بميْتٍ ... أنَّما الميْتُ ميِّتُ الأحياء

فهنا يُقدم تسعة أمثلة من الحديث النبوي على هذا النوع إضافة إلى بيت شعري لا يتم معناه إلا بالبيت الذي يليه وهو:

إنما الميْتُ من يعيشُ ذليلاً ... سيِّئًا بالُهُ قليلَ الرَّجاءِ

وفي هذا الأسلوب يقوم المتكلِّم بتحويل الوضع اللغوي للمفَرد فينفيه أولاً ثم يثبت له معنى آخر، والمراد بقول السيوطي في النظم (قصدًا) الاحتراز من الخطأ بحيث إذا أخطأ المتكلِّم لا يدخل في هذا الباب، وقد نبَّه على الغرض منه وهو "المبالغة في ادِّعاء الحكم".

والناظر في جملة الأمثلة هنا يجدها مصدَّرة جميعها بالنفي، وأداة النفي الفعل الناسخ (ليس) يعقبه اللفظ المقصود نفْيه فهذه جملة أولى، ثم يُعطف عليها جملة ثانية تستدرك بالمعنى المراد وضْعُه، وغالبًا ما تصدَّر بـ"لكن"، وأحيانًا تكون "إنما".

---

(١) شرح عقود الجمان، ص١٤١.

(٢) قائلة عَدِيَ بن رَعلاء الغسَّاني، الأصمعيات، ص١٥٢.

فينتظم الأسلوب جملتين: إحداهما منفية تزيل معنى تواطأت عليه الجماعة اللغوية، والثانية مُثبتة تضع معنى جديدًا.

وتجيء هذه البنية اللغوية مستخدمة أقوى الوسائل لتحقيق الغرض فتختار من النوّافي فعلاً، وتختار للإثبات "إنَّما" أو "لكنَّ".

وليس المقصود بالنفي في الأسلوب إزالة المعنى المتعارف عليه تمامًا، وليس المقصود بالإثبات تشريعًا لغويًا جديدًا بحيث يكون المقصود استعماله ونشره بديلاً، كلا؛ فإنَّ المقصود الاعتداد بالمعنى الجديد، والمبالغة كما قال السيوطي.

ويتضح أن استعمال هذا الأسلوب بكثرة في الحديث النبوي هو الذي لَفَتْ انتباه السيوطي لهذا الاختراع، أما الذي أفاده فيه كل الإفادة، فهو أبو عُبيد القاسم بن سلاَّم الهروي (ت ٢٢٤هـ) في شرْحه لحديث "الرَّقُوب" الذي جاء في الغريب، وأورده السيوطي في هذا الباب.

قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : "ما تَعُدُّون الرَّقوبَ فيكُمْ؟

قالوا: الذي لا يبْقى له ولد.

قال: ليس ذلك بالرقوب، ولكن الرقوبَ الذي لم يُقدِّم من ولده شيئًا"[1].

وقال أبو عُبيد: " وكذلك معناه في كلامهم، إنّما هو على فقْد الأولاد.. فكأن مذهبه عندهم على مصائب الدنيا فجعلها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على فقْدهم في الآخرة.

وليس هذا بخلاف ذاك في المعنى، ولكنه تحويل الموضع إلى غيره"[2].

فالرقوب في عُرف الوضع اللغوي: الذي لا يبقى له ولد، والنبي يحوِّل هذا المعنى الخاص بالدنيا إلى معنى أخروي، ومعنى الحديث: " إنكم تعتقدون أن الرقوب: المحزون هو المصاب بموت أولاده.

وليس هو كذلك شرعًا بل هو من لم يمت أحد من أولاده في حياته فيحتسبه يُكتب له ثواب مصيبته به، وثواب صبره عليه، ويكون له فَرَطًا، وسلَفًا"[3].

وكأن هذا التحويل المقصود للمعنى بقصد تعزية وتسلية المصاب بفقد الأولاد، فإذا كان الظاهر أنه لم يبق له ولد فإن هذا في الدنيا أما في الآخرة فالرقوب غيره.

---

(١) شرح عقود الجمان، ص١٤١، وغريب الحديث، ج٢، ص٥٠٨، ط مجمع اللغة العربية، تحقيق د/ حسين محمد شرف، مراجعة/ محمد عبد الغني حسن، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م، والحديث في صحيح مسلم ١٦ / ١٢٦ ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ١ /٣٨٢.

(٢) غريب الحديث، ج٢/٥٠٩.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٦، ص١٢٦، ط الأميرية.

وأقول: إن فهم أبي عبيد وتعامله مع هذا الأسلوب يفوق فهم السيوطي، وقد ظهر ذلك في التناول وفي المعالجة رغم أن الرجل لم يكن يقصد إلى وضع مصطلح علمي على هذا الأسلوب في بيان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ..

فاستشهد بحديث آخر لا تقوم بنيتُه على النفي بـ"ليس" كما جاءت كل أمثلة السيوطي وهو حديث: "إن المحروبَ من حَرِب دينُه".

ويشرح الحديث بدقة قائلاً: "ليس هذا ألا يكون مَن سُلِبَ مالُه ليس بمحروب، إنما هو على تغليظ الشأن.

يقول: "إنما الحَرَبُ الأعظم أن يكون في الدين، وإن كان ذهاب المال قد يكون حَرَبًا"(١).

فالفعل حَرَب: دالٌ على السلب والترك بلا شيء(٢)، ويستعمل في ذهاب المال، وجعله النبي لسلب الدين للاعتداد العظيم بالمسلوب. وهذا التناول يقف القارئ على إدراك أبي عبيد للأسلوب والتعبير الجيد عنه، وإطلاق تعبير أدق من مصطلح السيوطي وهو "تحويل الموضع" وليس "نفي الموضوع" لأن المتكلِّم لا ينفي الوضع اللغوي الأصلي المستعمل للفظ لكنه يُنبِّه على الأهم في الإطلاق وتصحيح الرؤية.

فالأسلوب في غير الحديث النبوي يحمل رُؤية خاصة لقائله يريد أن يطرحها في شعره فمثلاً يقول عمرو بن معد يكرب:

لـــيسَ الجمـــالُ بمئـــزرٍ ... فـــاعْلَمْ، وإن رُدِّيـــت بُـــرْدَا

إن الجمـــــالَ معـــــادنٌ .... ومناقـــبٌ أورثْـــنَ مَجْـــدَا

---

(١) غريب الحديث، ٢/٥١٠.

(٢) المعجم الكبير، ج٥، ص١٨٥، مجمع اللغة العربية.

يحوّل النظرة من جمال الشكل والثياب إلى جمال الأصل والأرومة.

والذي يحوّل اليتيم من فقدان الأب إلى فقدان العلم والأدب، يقول:

لـيسَ اليتـيمُ الـذي قـد مـاتَ والـدُهُ

بـــل اليتـــيمُ يتـــيمُ العلـــمِ والأدب

فليس المعنى أن فاقد الوالد ليس يتيمًا، بل على أن الفقد الحقيقي (أو الجدير بأن يُسمَّى فقدًا) هو للعلم والأدب.

واستشهد له أبو عبيد أيضًا بقول أبي دؤاد الإيادي:

لا أعُـدُّ الإقتَـارَ عُـدْمًا، ولكـن ... فقْـدُ مـن رُزِئْتُـهُ الإعْـدَامُ

لم يُرد أنَّ اجتياح المال ليس بعُدْم، ولكنه أراد أن هذا الفقر الآخر أجلُّ منه"[1].

وتُعَدُّ هذه الملاحظات البيانية للأسلوب من أبي عُبيد المصدر المباشر لحديث السيوطي عن نفي الموضوع، فقد أخذ عبارته (تحويل الموضع) وجعلها (نفي الموضوع) .

وهذا الأسلوب يفيد القصر إذا جاءت الجملة الثانية التي تحمل المعنى المقصود مصدرة بأحد حروف العطف (بل أو لكن) فهو أحد طرق القصر المعروفة ، والفرق بينه وبين هذا الأسلوب هو خلوه من أحد هذين الحرفين في بعض الأمثلة .

---

(١) كتاب غريب الحديث، ٤/٥١٠ والبيت في الأصمعيات، ص١٨٧.

الثالث: **تمهيد الدليل**:

قال في النظم :

وإنْ أتَـــى بُجَمَـــلٍ للمَقْصِـــدِ ... توصُّـلاً لحُكْـمِ مـا بـه ابتُـدِي

وصَـحَّ حـذفُ الوسَـطِ الموصـولِ ... فـــذلكَ: التمهيـــدُ للـــدَّليلِ

وقال في الشرح: "هذا نوع ثالث اخترعته، وسمَّيتُه: تمهيد الدليل.

وهو أن يقصد الحُكم بشيء فيرتِّبَ له أدلَّةً تقتضي تسليمه قطْعًا بأن يبدأ بالمقصود، ويخبر عنه بجملة مُسَلَّمة ثم يخبر عن تلك الجملة بأخرى مسلَّمة فيلزم ثبوت الحكم للأول، بأن يُحذف الوسط، ويخبر بالأخير عن الأول(١).

هذا الاختراع الثالث للسيوطي في البديع، سمَّاه "تمهيد الدليل"، أو "التمهيد للدليل" كما في النظم، وتقوم بنْيتُه على جُمَل تمهِّد للمقصود، وواضح من تعريفه وإجرائه أنه يقوم على المنطق كالاختراع الأول، وقد صرَّح السيوطي بذلك فقال: "وهذا شكل من أشكال المناطقة" لكنه يحاول الابتعاد عنهم فيقول: "ونحن معاشر أهل السنة لا نتبعهم أصلاً، وهم مصرِّحون بأنه في طبع أهل الذوق والذكاء، والقرآن والسنُّة طافحان باستعماله"(٢).

أما محاولة التبرؤ من المناطقة فهي في سياق الاعتداد بالعلوم العربية، وترك الوافد اليوناني الذي لازم التأليف العربي في كافة مراحله، ومع هذه المحاولة فإن الأسلوب الذي يطرحه السيوطي علينا يقوم بنيةً وقصدًا على معطيات المنطق، وقد حَصَرَه صاحبه في شكل من أشكال المناطقة، هذا الشكل يقوم على مقدمات يقينية توصِّل إلى المطلوب، وسمَّاه

---

(١) شرح عقود الجمان، ص١٤٢.

(٢) السابق والصفحة.

المناطقة "البرهان"، وهو من أقسام الحجَّة عندهم، وعرفوه بأنه "ما رُكِّب من مقدمات يقينية نحو قولك: زيد إنسان، وكل إنسان حيوان ينتج زيد حيوان"(١).

وعلى هذا الشكل جاءت أمثلة السيوطي الأربعة لهذا النوع نحو قوله –صلى الله عليه وسلم– " لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا" قال: "لأنه يصح أن يُحذف الوسط فيقال: "لا تدخلوا الجنَّة حتى تحابُّوا"(٢).

وقسَّمه السيوطي –بناء على "الوسط"– قسمين، لأنه "تارة يكون الوسط جملة واحدة، وتارة يكون أكثر"(٣).

إلا أن الأمثلة الأربعة –وهي من الحديث فقط– جاءت على القسم الأول الذي وسطُه جملة واحدة، ولم نجد مثالاً على القسم الثاني الذي وسطُه أكثر من جملة، كما لم نجد مثالاً من القرآن الكريم الذي قال عنه السيوطي: إنه طافح باستعمال هذا الأسلوب.

وإذا استحضرنا هنا أيضاً ما قلناه في الاختراع الأول من اتصاله بالمذهب الكلامي فإن هذا النوع أشدُّ شبهًا وأكثر اتصالاً من السابق، إذْ فيه إيراد الحجة عن طريق أهل الكلام.

---

(١) حاشية الباجوري على السلَّم في علم المنطق، ص١١٩.

(٢) شرح عقود الجمان، ص١٤٢.

(٣) السابق والصفحة.

الرابع: **التصحيف**:

قال في النظم:

ومِنْــهُ تصْــحِيفٌ بــأنْ يعْتَمَــدَا ... بِــه، وبالتَّصْــحيفِ أمْــنٌ قُصِــدَا

وقال في الشرح: "هذا نوع رابع اخترعته، وهو أن يأتي في المقصود بكلام لتصحيفه معنى معتبر فيقصد ذلك لتذهب نفس السامع إلى كل من معنييه، كما حُكي عن بعض الأذكياء أنه كتب إلى بعض أصحابه أنه يشتري له من البضائع الرائجة، وأمر ألا يُنقَّط ليصلح للرائجة والرابحة"(١).

هذا رابع المخترعات السيوطية، وهو أخفُّها وزنًا وأقلها قيمة، وأهْونها علمًا، ولكنه عظيم الخطر على ألفاظ الأحاديث والآثار، ومنه يبدو الحرص على الرغبة في الزيادة والتفريع والتشقيق لظواهر البديع فحسب، فالمصطلح معروف مشهور قبل السيوطي بزمن طويل لكنه كان يستخدم في الجناس "تجنيس التصحيف"، وهو أن يكون اللفظ فارقًا بين الكلمتين كقوله تعالى:"**وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**"[الكهف، ١٠٤](٢).

والجناس يكون بين كلمتين لكن اختراع السيوطي جعل التصحيف في كلمة واحدة ينطقها المتكلم قاصدًا معنيين من خلال تغيير النقط بها ، وهذا هو الفرق بين التصحيف عنده، والتصحيف في الجناس، ولذا ذكر الدكتور أحمد مطلوب مصطلح التصحيف ناسبًا إياه إلى السيوطي دون ذكر الشبه بينه وبين التجنيس(٣).

---

(١) شرح عقود الجمان، ص١٤٢.

(٢) تحرير التحبير، ص١٠٥، ومعه الوساطة، ص٤٦ للقاضي الجرجاني، ط بيروت.

(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ٢٢٧/٢، ط العراق.

وقد ذكر المتأخرون الجناس في البديع اللفظي، وكذا يدخل التصحيف السيوطي لكنه أدْخله في المعنوي باعتبار تعدُّد المعنى الناتج عن تغيير النقط في الكلمة محل التصحيف.

ومثَّل له بمثالين من الحديث النبوي بخلاف المثال الصناعي السابق، وهذان المثالان نتج تعدُّد المعنى فيهما من اختلاف الرواية، وهما حديث: "عليكم بغسل الدبر فإنه يذهب بالبواسير".

فبعضهم يرويه "بغَسْل الدُّبُر" فيورده في باب الاستنجاء، وبعضهم يرويه "بعَسَل الدَّبْر" فيفهم أنه عسل النحل.

أقول: فوق ضعف الحديث[1] فإنه مخالف –كمثال– لتعريف التصحيف؛ لأن التعريف ينصُّ على قصْد المتكلم لتذهب نفس السامع إلى كل معنييه، وبعيد أن يكون قصد النبي إلى هذا التصحيف، وقد أتى التصحيف من باب الرواية .

والحديث الآخر هو : "**أربع من سنن المرسلين: السواك والتعطُّر والنكاح والحياء**" فبعضهم يرويه "الحياء"، وبعضهم يرويه "الحنَّاء".

ويبدو أن السيوطي وجد في اختلاف الروايات في هذه الأحاديث سببًا لإيرادها في التصحيفْ، ويُفهم من ذلك أن تعدُّد المعنى هنا بناء على قراءة المتلقِّي لا إرادة المتكلِّم كما في المثال الصناعي الذي ذكره.

أما التصحيف بهذا المعنى السيوطي فهو الذي ذكره من قبل أبو عثمان الجاحظ في قصة الكتاب الذي ورد من هشام بن عبد الملك (ت١٢٥هـ) إلى عامل المدينة: (اَحْصِ) مَنْ قبَلَكَ من المخنّثين".

(١) يراجع سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني، ٢/٢١٠ حديث رقم ٧٩٨.

فقرأها العامل: (أخْص) مَنْ قبَلَك من المخنثين(١).

الخامس: **التضييق**:

قال في النظم:

قلتُ: فإنْ كانَ اللُّزومُ في الرَّوِيْ ... أوْ كلماتٍ فهْي تضييقٌ قويْ

وفي الشرح قال: "هذا النوع اخترعتُه، وسميتُه بالتضييق بأن يلتزم في الرويّ أمرًا لا يلزم، وإنما لم يذكرُوه لظنِّهم أن الروي يلتزم أن يكون على حرف واحد فلا يقع فيها التزام ما لا يلزم، وأشرت بما ذكرته إلى أن الروي قد يكون مثلاً على الهاء فيلتزم أن لا يأتي بها ضميرًا، أو الألف فيلتزم أن لا يأتي بها ألف إطلاق... ويلحق بذلك ما إذا التزم أمرًا في كل كلمات البيت أو الرسالة، وللصَّرْصَري (ت٦٥٦هـ) قصائد التزم في كل كلمة فيها صادًا وقصائد التزم في كل كلمة فيها عينًا، وللحريري (ت ٥١٦هـ) رسالة التزم في كل كلمة فيها سينًا"(٢).

ومصطلح "التضييق" ليس جديدًا حيث أُطلق قبل السيوطي على "لزوم ما لا يلزم"، وهو "أن يلتزم الناثر في نثره أو الناظم في نظمه بحرف قبل حرف الروي أو بأكثر من حرف بالنسبة إلى قدرته"(٣)، وأطلق عليه ابن المعتز (الإعنات)(٤)، وسماه بعضهم الالتزام، والتشديد(٥).

---

(١) الحيوان، ١/١٢١.

(٢) شرح عقود الجمان، ص١٥٤.

(٣) خزانة الأدب، ص٥٣٠.

(٤) ينظر البديع، ص٧٤.

(٥) ينظر تحرير التحبير، ص٥١٧، وحسن التوسل، ص٢٢٠، ونهاية الأرب، ١١٣/٧ وروضة الفصاحة، ص٢٣٩، وخزانة الأدب، ص٥٣٠.

فنحن نرى خمسة مصطلحات تواردت على هذا اللون البديعي، والسيوطي نفسه ذكر من هذه الخمسة ثلاثة فقال: "من الأنواع لزوم ما لا يلزم، ويُسمَّى الالتزام والإعنات"(١).

لكنه لم يذكر التضييق واستقلَّ به اخترعًا جديدًا ، وجعله لالتزام أمر في الروي، وكأنه يفرق بين الالتزام عند البلاغيين والتضييق عنده بأن الأخير يلتزم أمرًا خاصًّا في الروي.

ومثَّل لهذا الأمر الملتزَم بأن الروي إذا كان الهاء لا يؤتى بها ضميرًا، وإذا كان الألف فلا يؤتى بها للإطلاق.

ويفترق التضييق عند السيوطي عن الالتزام عنده وعند غيره بأنه خاص بالروي بخلاف الالتزام الخاص بالحرف قبل الروي، والشاهد الذي أورده دالٌّ على ذلك ، وهو مطلع قصيدة لأبي اليمن الكندي (ت٦١٣هـ):

هلْ أنتَ راحِمُ عَبْرةٍ وتولُّهِ ... وَمُجِيرُ صَبَّ عندَ مَا عنْهُ نُهِي

هيهاتَ يرْحَمُ قاتِلٌ مقتولَهُ ... وسنَان في القلبِ غيرُ مُنَهْنَهِ

من ملَّ من داءِ الغرامِ فإنَّني ... مُذْ حَلَّ بي مَرَضُ الهوى لم أَنْقَهِ

وألْحَقَ السيوطي بالتضييق أمرًا آخر وهو الالتزام في كل كلمات النص كما التزم الحريري في الرسالة السينية حرف السين في جميعها، وفي الرسالة الشينية حرف الشين في جميعها(٢).

والملحوظ أن النعت الذي ذكره في النظم للمصطلح وهو (القوي) لم يذكره في الشرح فهل هو لاستقامة القافية فقط أو أن له دلالة عنده؟

---

(١) شرح عقود الجمان، ص١٥٤.

(٢) مطبوعتان مع المقامات، ص٦٠٤– ٦١٢، المطبعة الحسينية المصرية، ١٩٢٩م.

يبدو أن له دلالة لأن المصطلح كان معلومًا قبله فوصفه بـ (القوي) ليفرق بينه وبين مصطلح (التضييق) عند الآخرين.

ويتضح من هذا اللون البديعي مدى التكلُّف الذي يلزم به الناثر أو الشاعر نفسه لقصد البراعة والتفوق على الآخرين، وهو من الألوان المستحدثة بعد الاعتماد على الأصباغ البديعية والتصنُّع فيها.

السادس: **المنتحل**:

قال في الألفية:

واللفْظُ إذْ يقْرَؤهُ الألْثَغُ لا ... يُعابُ قَدْ سمَّيتُه المنتحَلاَ

وفي الشرح: "هذا النوع اخترعتُه وسميتُه المنتحل والمنتقي والمتحري وهو: أن يُختار لفظ إذا قرأه الألثغُ لا يُعاب عليه تحرِّيًا"(١).

ويتضح من كلامه أن اللفظ الذي يقع عليه هذا المعنى هو ما وقع فيه الاختيار من المتكلم، ويقوم على التأنِّي والدقة والجهد في اختيار الألفاظ، ويُراعى فيه الحروف التي تقع فيها اللثغة كالراء التي تُقلب غينًا عند الألثَغ ومثَّل لها بيتين لبعض الأقدمين(٢).

منْ شاءَ جمْعَ معانٍ قدْ خُصِصْتُ ... وجاوزَتْ كلَّ حَدٍّ لم ينَلْ وطَرَا

وكيف يُستطاعُ أن تُحصَى ... وزنْدُك الفرْدُ مهمَا تقْتَدِحْهُ وَرَا

فيحرص الناظم على اللفظ الذي يحمل وجهين للنطق، وفي كل وجه يستقيم المعنى، فإذا أنشده السليم صحَّ وإذا أنشده الألثغ صحَّ، وهذا فيه جهد شديد، ولذا سمَّاه أيضًا المتحري والمنتقي.

---

(١) شرح عقود الجمان، ص١٥٧.

(٢) السابق والصفحة.

ويباهي الناظم الذي أنشد البيتين بقوله:

وذاتِ وجهـــينِ أتـــتْ بدْعَـــةً ... غايتُهـــا فـــي الحُسْـــنِ لا تُبلـــغُ

قافيـــــة رائيَّـــــةٌ قيـــــل: لا ... يُعـــاب فـــي إنشـــادها الألثـــغُ

ويخلص هذا المصطلح ومضمونه للسيوطي فلم يُسبق إليه لكنه دالٌّ على التكلُّف الشديد لكنه ليس تكلُّفًا إذا قيس بظروف وملابسات عصره حيث كان البديع يستولي على أذهان الأدباء ويجعلونه الغاية في الشعر.

وختاماً:

فهذه اختراعات السيوطي في فن البديع تدرَّج في عرضها من القوة إلى الضعف، وقد كان الحديث النبوي عمدته في استخراجها فرأينا الأمثلة جميعاً منه إلا ما ندر، ورأينا اعتماده في نفي الموضوع على أحد علماء الحديث وهو أب و عُبيد القاسم بن سلام، ورجَّحْنا تعبير أبي عبيد "تحويل الموضع" على مصطلح السيوطي، ورأينا تأثُّره بالمنطق في مصطلحين هما: "التأسيس والتفريع" و"تمهيد الدليل" فهما قائمان على إيراد الحجة بشكل من أشكال المناطقة.

هذا وقد نسب قاسم البكره جي (ت١١٤٨هـ) هذه الاختراعات للسيوطي في بديعيته "حلية العقد البديع في مدح النبي الشفيع"، كما نسبها إليه حديثًا الدكتور/ أحمد مطلوب في معجم المصطلحات البلاغية وذكر أربعة منها الدكتور/ أحمد موسى –رحمه الله– في كتاب: الصبغ البديعي، وهي التأسيس والتفريع ونفي الموضوع وتمهيد الدليل والتصحيف ، وعقَّب عليها قائلاً: "هذه أنواع أربعة أخرى اخترعها السيوطي، ونظمها البكره جي وهي –كما ترى– لا تحتاج في تفاهتها إلى بيان"(١).

وهذا حكم يغمط السيوطي حقه ؛ لأنه مهما كانت قيمتها العلمية لا توصف بالتفاهة، وقد رأينا فيها جهدًا لا أقلَّ من ذكره، والتنويه به.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) الصبغ البديعي في اللغة العربية، ص٤٤٩، ط دار الكتاب العربي، ١٣٨٨هـ–١٩٦٩م.

المصادر والمراجع

- الأصمعيات، تحقيق وشرح/ أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، ط٦ دار المعارف.
- الإيضاح شرح تلخيص المفتاح مع البغية، الخطيب القزويني، ط مكتبة الآداب.
- البديع، لابن المعتز، تحقيق: اغناطيوس كراتشكوفسكي، ط٣ دار المسيرة، بيروت، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
- البلاغة تطور وتاريخ، د/ شوقي ضيف، ط دار المعارف.
- تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، أحمد مصطفى المراغي، ط الحلبي، ١٣٦٩هـ- ١٩٥٠م.
- التحدث بنعمة الله- جلال الدين السيوطي، تحقيق: إليزابيث ماري سارتين، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، ٢٠٠٣م.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، تحقيق د/ حفني شرف، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
- حاشية الباجوري على السلم في علم المنطق، لإبراهيم البيجوري، ط صبيح، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م.
- خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، ٢٠١٤م.
- شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، السيوطي، ط الحلبي، ١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م.
- الصبغ البديعي في اللغة العربية، د/ أحمد إبراهيم موسى، ط دار الكاتب العربي، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م.

- صحيح مسلم بشرح النووي، ط الأميرية.
- الصور البديعية بين النظرية والتطبيق، د/ حفني محمد شرف، ط مكتبة الشباب، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، للسبكي، ضمن شروح التلخيص ط بيروت.
- العمدة في صناعة الشعر ونقده، لابن رشيق القيرواني، تحقيق د/ النبوي شعلان، ط١ مكتبة الخانجي، ٢٠٠٠م.
- غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق د/ حسين محمد شرف، مراجعة/ محمد عبد الغني حسن، ط روز اليوسف، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
- المختصر على تلخيص المفتاح، سعد الدين التفتازاني، ضمن كتاب شروح التلخيص، ط بيروت.
- المعجم الكبير، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء الخامس، ٢٠٠٠م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د/ أحمد مطلوب، ط العراق.